رمزية العصا في القرآن الكريم
قصة موسى تحديدا

هشا م فتح
كلية اللغة العربية- مراكش

0- تمهيد:

ارتبط ورود العصا بقصة موسى[1] عليه السلام التي هي نفسها تمثل استثناء داخل النسق القرآني كمّا وكيفا، فأما كمًّا فقد حظيت بما لم تحظ به غيرُها من قصص الأنبياء الكُثر من الذكر، وتفيدنا المعطيات الإحصائية أن لفظة موسى قد بلغ عدد تواترها 136 مرة موزعة على 34 سورة خُصصت من آياتها 502 آية. وأما كيفا فيتجلى في جانبين:

-**الجانب الأول**؛ يمس معمارية القصة التي بُنيت بشكل فسيفسائي غير متسلسل الأحداث، كما أنه في الوقت الذي تحكمت في جُل القصص القرآني ثلاث بُنى مركزية (أو نَوَى وظيفية بلغة السرد) وهي: الإرسال والدعوة ثم التكذيب ثم الإنجاء والإهلاك[2]، انزاحت قصة موسى عليه السلام عن هذه البُنى ليحتفي القرآن الكريم بتوثيق ثلاث لحظات عاملية جديدة: لحظة طفولته ولحظة زواجه[3]ولحظة تلقيه العلم على يد العبد الصالح[4].

-**الجانب الثاني**؛ يتصل بطبيعة التجربة "المُوسَوية" في ذاتها؛ إذ هي تجربة يُراد من خلال اختيارها أن ينكشف التطبيق الفعلي لوجود الغيب في حركة الواقع الإنساني[5]، قصد إدراك صلة الاتصال بين عالم الحركة الظاهرة وعالم الغيب، فمن ثمة كانت تجربةً ذات مسار غير طبيعي مشوب بكثير من التوتر[6] والخوف[7]، بالرغم من ضمانات التأييد الإلهي المنصوص عليها قرآنيا بدلائل المحبة والاصطفاء والاختيار والاصطناع والعناية والتقدير[8]. لهذه الاعتبارات انمازت تجربة موسى عليه السلام بثلاثة مَيَاسم أساسية:

أ- **مَيسم المفارقة العجائبية**: ويتجسد في حدثين بارزين هما:

أ-أ- حدث **الولادة** الذي أتى خارقا للعادة، فبعد ألَمِ الانفصال عن الأم عبر القذف بموسى الرضيع في التابوت وبعده في اليم ومنه إلى الساحل[9]، لم تكن نتائج هذه الأفعال كلّها لازمة شرطيا لمقدماتها؛ فهكذا لم يغرق التابوت كما تُوُقّع رغم مقاساة أهوال الرحلة.

أ-ب- وحدث **التنشئة** داخل بلاط فرعون وافتراض التماهي مع عالم أفكاره وأشيائه وأشخاصه ثم الخروجُ من رحم ذلك الفضاء بمشروع عقدي نقيض قد أصاب فرعون بحالة ذهول وامتعاض غريبين، سجّلهما القرآن الكريم على لسانه بقوله:"**أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ**؟!"[10] .

ب- **ميسم الارتحال** عبر الأمكنة[11] دخولا وخروجا مجيئا ورجوعا، وارتباطِ تحولات هذه التجربة بها خاصة بحدث الخروج[12] الذي يحمل كل معانيَ امتداد الذات في العالم والتفاعل معه إيجابا وليس نفيا أو استبعادا اجتماعيا لتلك الذات.

ج- **ميسم التحول** الذي طال نسق الذات ذهنيا ونفسيا من خلال حركة انتقال موسى عليه السلام من فضاء المدينة المنغلق إلى الفضاء الرعوي المفتوح، كما طال نسق الأشياء إما بابتعاث الحركة فيها كتحوُّل العصا إلى حية أو بتعطيل حركيتها كارتداد البحرِ حال انفلاقه إلى يابسة.

هذا الحضور القوي، إذن، على مستوى الدال كمّا وكيفا، كما ذكرنا، وازاه حضور مكثف لزمرة هامة من الرموز التي تُوسِّل بها من أجل نقل تجربة موسى عليه السلام شكلت العصا أُسها، لما تحبُل به لوحدها من إحالات دلالية مكثفة تثوي خلفها الكثير من الأسرار، تستدعي معها تعبئةَ معرفة بالغة الغنى لتمثلها ومحاولة إدراك كنهها.

1- الأبعاد الرمزية للعصا في قصة موسى عليه السلام:

سنحاول البحث في الأبعاد الرمزية لمكون العصا داخل قصة موسى عليه السلام انطلاقا من تشكيلتين من المتن القرآني:

- الأولى مركزية؛ تتعلق بآيات العصا من سورة طه [16-20]، وسيكون هذا المتن هو مناطُ ومنطلقُ الاشتغال.

- والثانية حافة؛ نقصد بها مجمل تواردات العصا فيما تفَّرق من القصة عبر سور القرآن الكريم، وسنعتمدها من أجل تعضيد نتائج المتن الأول. (يُنظر ملحق الآيات)

1-1- العصا رمز المتناقضات:

1-1-1- متناقض النسبي والمطلق:

يقول تعالى في آيات طه[13]:"وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى؟، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى، قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى، قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى".

إذا تأملنا جل تجارب الأنبياء من خلال قصصهم في القرآن الكريم، سنجد كل واحدة منها يحركها سؤال عميق يستجيب لمواضعات ثقافة القوم الذين بُعثوا فيهم، وغالبا ما يستهدف السؤال صيغة الكَيْف، صيغةَ البحث عن الاطمئنان الذهني والقلبي؛ ففي الوقت الذي استأثرت قضيةُ الخلق باهتمام إبراهيمَ عليه السلام حتى تساءل قائلا:"رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الموْتَى، قَالَ أَوَ لَمْ تُومِن؟ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي"[14]، انشغل موسى عليه السلام بسؤال الغيب المحسوس عن طريق النظر المباشر إلى الذات الإلهية والتجلي المجسَّد لها قائلا:" رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْك، قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُر إِلَى الجَبَلِ فَإِن اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي"[15].

من هنا نفهم لماذا سُوِّرت آيات طه بصيغة سؤالية، جاعلة من العصا بؤرتها عبر إيرادها مرة واحدة بالتصريح وإحدى عشرة مرة بالتضمير، على اعتبار السؤال أداة معرفية حاسمة للارتقاء بالوعي إلى مستوى ضرورة التفكير في دلالات الأشياء قلّت قيمتها أو عظمت مثل العصا؛ لأن ما تضمره من الأبعاد قد تحجبه حقيقةُ ظاهرها المصرح به.

إن العصا ضمن سياق هذه الآيات المذكورة إيذان بمرحلة التعامل مع الغيب بوساطة مجتباة ضمن صياغة جديدة لوظيفتها، الأمر الذي يستدعي معه سلوكا جديدا في فهم الأشياء وحركتها ضمن عالم لا يسعه الزمان ولا المكان. فتصنيف موسى لوظائف العصا ضمن إطارات ثلاثة: اثنتان مخصوصتان ومحددتان في الزمان[16] هما(التوكؤ والهش اللذان يرمزان إلى حالة الضعف) والثالثة مفتوحة لازمنية[17] متمثلةٌ في(المآرب)[18]، هو تصنيف يستند إلى وضعية إنسانية نسبية تقاس بالحركة والعدد والتحول في الحالات(التوكؤ= تحول من حالة القوة إلى الضعف) والأشياء(العصا محوَّلة عن الشجرة).

وعلى هذا الأساس إذن"فإن إسقاط حالة جديدة يفترض صياغة حدود جديدة تتجاوز المعطى الدلالي السابق لتُدرج الفعل ضمن حدود لا يمكن أن توجد إلا من خلال تقابلها مع بعضها البعض"[19]؛ أي"إن الأمر يتعلق بخلق النقيض لكي يفسح المجال للذات المتعالية أن تتأمل نفسها في تفردها المطلق من خلال تجسُّد قوتها في وقائعَ من طبيعة جديدة"[20].

1-1-2- متناقض الموت والحياة:

يتجلى رصد متناقض الموت والحياة داخل آيات طه في نوعين من التحول:

أ- أحدهما ترتب عن فعل إلقاء العصا فتحولت من صفة الجماد المحايثة لها، إلى صفة الحركة ممثَّلة في كائن يشبهها من حيث الشكل ويتعلق الأمر بالحية.

ب- والآخر تحوُّل ارتدادي نتج عن فعل الأخذ ليعيد العصا إلى سيرتها الجامدة.

وستنشط هذه الدلالة المتناقضة للعصا في سياقات أخرى عندما ستكون سببا في هلاك فرعون عند انفلاق البحر من إثرها حتى أدركه الغرق، في مقابل إحيائها للسحرة لما انعتقوا من ربقة عبوديتهم لفرعون وانتَشوا بالإيمان"وَقَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لمنْقَلِبُون"[21] .

1-1-3- متناقض الصلابة والمرونة:

يبدو دوما موسى عليه السلام كشخص طبيعي يتصرف على نحو عفوي، وقد كان ثمة توازنٌ واضح بين جسمه القوي كما شهد به القرآن الكريم"إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِين"[22] وبين صلابته الأخلاقية التي تحركت أحيانا تحت جموح دافع الغضب الذي جعله يجر رأس أخيه ويلقي الألواح ويوكزُ من استغاثه من شيعته فيرديه صريعا، هذه الصلابةُ كان ينبغي التخفيف من حدتها حال محاورة فرعون لتقَابل باللّين والمرونة:"فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا"[23] لحساسية الموقف التواصلي المرشَّح، نتيجة فَرْط وطغيان فرعون، أن ينزلق في كل لحظة نحو دائرة العنف.

1-1-4- متناقض الاتصال والانفصال: من جملة الاستقطابات الثنائية المتناقضة السائدة داخل آيات طه المذكورة، ثنائية الاتصال بالمكان والانفصال عنه، على اعتبار الاتصال به تجسيد للرغبة الدفينة في الالتصاق بطبيعته البسيطة، وقد تحققا تركيبيا ومعجميا:

أ- يتجلى تركيبيا:

- من خلال تقابل اسم الإشارة(تلك) المحيل على الشيء في الخارج، وأداة النداء (يا) التي تشتغل برُوكْسِيمِيا[24] للتدليل على مسافة القرب والاتصال.

- ومن خلال التقابل بين ضميري الفصل(هي) والوصل في(عصاي).

- وبواسطة آليتي الوصل والفصل عبر مؤشري (الواو) و(فعل القول) على التوالي؛ "وأهش بها...ولي فيها...**قال** ألقها...**قال** خذها..."،

- وبواسطة استدعاء حرفي (اللام) الدال على الملكية المتصلة بالذات، و(في) المفيدة للظرفية المكانية المنفصلة عنها.

ب- ويتجلى الاتصال والانفصال معجميا:

- من خلال لفظة (التوكؤ) الدال على الاتصال الموضعي، في مقابل لفظة (الهش) بما هي حركة بالعصا نحو الشجر ليَتَحَاتَّ ورقُه لفائدة الغنم، ولتظل هذه ملتفة ولا تشرد.

- ومن خلال لفظة(الإلقاء) باعتباره فعلا انفصاليا في مقابل اتصالية فعل(الأخذ).

1-2- العصا سلطة رمزية مضادة:

من مميزات تفرد التجربة الموسوية على مستوى خطابها، أن المستهدف منه فرعونَ بالذات وليس أهل مصر، في حين كان خطاب النبوءات الأخرى قاصدا الشعوبَ والأقوامَ دون الملوك وملئهم :"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ"[25]. إننا بهذا نكون إزاء سلطتين تتنازعان إثبات درجة الحضور والهيمنة: سلطة سماوية إلاهية تجلت من خلال مؤشرات خطابية تحققت عبر ثلاثة أفعال إنجازية: فِعلَي أمر(أَلْقها، خذها) وفعلِ نهي(لا تخف) الواردين في آيات طه وفي السور الذاكرة للفظة العصا(ستة أوامر أُنجزت بواسطة فعلين هما: اضرب وألْقِ)، وسلطةٌ أرضية تحاول جاهدة أن تُنَادِد السلطة السماوية من خلال الحضور القوي للاستعارة الاتجاهية الدالة على العلو في خطاب فرعون كما في قوله تعالى:"إِنَّ فِرْعَوْنَ **عَلَا** فِي الْأَرْضِ"[26] وقوله:"أَنَا رَبُّكُمُ **الْأَعْلَى**"[27] وقوله:"إِنَّهُ كَانَ **عَالِيًا** مِنَ الْمُسْرِفِينَ"[28] وقوله:"وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ **ابْنِ** لِي **صَرْحًا** لَعَلِّي أَبْلُغُ **الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ** إِلَى إِلَهِ مُوسَى"[29] فالألفاظ الدالة على العلو هي: البناء(حركة تتم

من أسفل نحو أعلى) والصرح والسبب ثم الطلوع. من هنا نفهم لماذا ظل موسى(يرمز إلى عالم جديد بقيم متغيرة)، بتأييد من سلطة السماء، في عداء[30] تام مع سلطة فرعون(يرمز إلى عالم قديم بقيم ثابتة) وبنيته الاعتقادية القائمة على السحر. والجدير بالإشارة أن شخصية فرعون لا تحضر عبر تضاعيف القرآن الكريم سوى كرمز دائم الصلاحية التاريخية وأنموذج أعتى للشر(مثل الحية) الذي عبّد بني إسرائيل واستضعف طائفة منهم وذبّح أبناءهم واستحيى نساءهم.

1-3- العصا وشجرة المعصية:

لا يمكن فصل العصا عن أصلها: الشجرة أو السيرة الأولى[31]، التي لا يمكن فصلها بدورها عن فعل التذوق والخطيئة والخروج من الجنة؛ فالعصا بهذا تعد تجسيدا لأولى حالات الخرق والخروج عن الطاعة، وهي الدلالات الموثقة عن طريق القرابة الاشتقاقية التي تربطها بالمعصية والعصيان وكذلك الدلالات المحفوظة عن طريق الأمثال العربية كما في قولهم: شق عصا الطاعة بمعنى الخروج والاختلاف في الرأي والتفرقة، دون إغفال للموقف الشعبي وما رسخه في ذاكرته من معاني للعصا وأساسا نسبة القداسة إليها من خلال تخيل فضاء وجودها وهو الجنة(لْعصَا خَارْجَة مَنْ جَّنَّة) وهو معنى سَكَّتْه هذه الذاكرة رغبة في تلطيف رمزية حمولتها السلبية المرتبطة بالعقاب(التربية/الاستقامة).

1-4- العصا يـــد ممتدة:

يمكن اعتبار العصا امتدادا لجلّ حواس الإنسان تبعا للدور المنوط بكل واحدة منها، فهي امتداد للفم كأداة إبداعية تتجلى مع ناي الفنان، وتحضر مع عكاز الشيخ أو المريض كعنصر بديل للرِّجل يضمن للجسم توازنه، وهي كذلك امتداد للعين كشيء مساعد يتحسس به الكفيف المكان ويهديه سواء الطريق.

تبقى هذه الامتدادات الثلاثة بمعية أدوارها مشروطة التحقق بواسطة حاسة اليد من خلال فعل الإمساك وحركة الأنامل، الأمر الذي جعلنا نسلّم من جهة بمركزية هذه الحاسة بالنظر إليها ضمن مورفولوجية الجسم وخريطته، وجعلنا نعتبر من جهة أخرى أن الامتداد الحقيقي لها يتجسد في العصا، وبالتالي فلا غرو أن تكون العصا رمز للمتناقضات إذا كانت اليد أُسُّها المكين من خلال ما تؤديه من وظائف منها ما هو إيجابي من قبيل أفعال: الكتابة، والحِراثة، والمصافحة... ومنها ما هو سلبي من قبيل أعمال: التدمير، والقتل، والبطش، والصفع....

وإذا كان الجسد-حسب فوكو[32]- تيمة اختَصت بها مجموعة من المؤسسات السلطوية(الإعلام، المدرسة، الأسرة...)، فإنه يمتلك في عمقه نزوعا سلطويا يتأكد حضوره بواسطة اليد؛ من ثمة أمكننا القول إن اليد هي مستقر السلطة ومستودعها Le pouvoir est dans vos mains.

هكذا سنفهم أنه قبل أن تكون العصا سلطةً مضادة مع فرعون، كما نصصنا عليه سابقا، هي سلطة رمزية في حد ذاتها تزداد إيحائيتها على مستوى التمثيل البصري خاصة حينما تتضافر سياقيا مع زمرة من القرائن، كأن تتوازى والكلامَ مع خطيب الجمعة وتتساوق والتلقينَ مع الفقيه وتترافق والزيَّ العسكري مع المارشال وتتعالق والموسيقَى مع رئيس الفرقة (المايسترو).

فعصا خطيب الجمعة، مثلا، لا يُدرَك بُعدها الرمزي إلا في توازيها مع اعتلاء المنبر وانخفاض مجلس الجمهور وارتداءِ الجلباب والبرنس الأبيضين ورفع الصوت وسيادتِه، فهذه كلها عناصر متساندة فيما بينها من أجل تأثيث فضاء سلطوي ديني خالص يستمد شرعيته منها؛ يستمده من دلالة المسافة المكانية(الارتفاع # الانخفاض) الشاخصة في

اعتلاء المنبر، ودلالةِ الحياد والطهر بما هي تجسيد للحظة الأولى التي تتأسس فيها كل المعاني كما يشي به لون البياض، ودلالةِ الامتلاك والتحكم من خلال هيمنة الصوت الواحد، ثم دلالةِ بؤرة هذه العناصر وهي العصا التي تمثل رابطا نفسيا يجعل الخطيب مسنودا إلى قوة عليا تشد أزره عند الكلام[33]. إن عصا الخطيب هنا، بخلاصة، حجة على الكيان المحمّل بأسرار القداسة الإلهية من جهة تسامي أصله المرتبط بشجرة الخلد، وهي أيضا حجة على النبوة المتوارَثَة ذات السند التاريخي المتصل، والحجتان معا هما ما ألمع إليهما الجاحظ في قوله:" والدليل على أن أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم ومعدن شريف، ومن المواضع التي لا يعيبها إلا جاهل، ولا يعترض عليها إلا معاند، اتخاذ سليمان بن داود صلى الله عليه العصا لخطبته وموعظته، ولمقاماته، وطول صلاته، ولطول التلاوة والانتصاب، فجعلها لتلك الخصال جامعة. قال الله عز وجل وقوله الحق: «فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الموْتَ مَا دَلَّهم عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَه فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المهِين»[34] والمنسأة هي العصا"[35]

ملحق الآيات القرآنية:

1- وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ [البقرة/60]

2- فَأَلْقَىٰ **عَصَاهُ** فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ [الأعراف/107]

3- وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ **عَصَاكَ** ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ [الأعراف/117]

4- وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ . وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ[الأعراف/160]

5- قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ [طه/18]

6- فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ [الشعراء/32]

7- فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ [الشعراء/45]

8- فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ[الشعراء/63]

9- وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ [النمل/10]

10- وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ [القصص/31]

11- قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى [طه/66]

12- فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ [الشعراء/44]

1- وردت في السور الآتية تارة مجملة وتارة مفصلة:(الأنعام:154) (هود:96. 99. 110) (يونس:75 .93) (الإسراء:2. 101. 103) (القصص:3. 44 .46) (النمل:7. 14) (الشعراء:10. 67) (طه:9. 98) (مريم:51-53) (الفرقان:35-36) (الأعراف:103. 156- 159-162) (ص:12-14) (القمر:41-42) (ق:12-14) (البروج:17-18) (النجم:36) (المزمل:15-16) (الأعلى:19) (الفجر:10-14).

2- الأعراف: 102. والشعراء:15-16.

3- القصص:6-28.

4- الكهف:24-82.

5- أبو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، دار ابن حزم- بيروت، ط1996/2، ج383/1.

6- منه ما يعود إلى التركيبة النفسية لموسى عليه السلام المتميزة بحدة الطبع البادية من خلال شعور الغضب الذي نصّت عليه الآيات التالية:

" ولما رجع موسى إلى قومه **غضبان** أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم **وألقى** الألواح **وأخذ** برأس أخيه **يجره** إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين(الأعراف:150)

"ولما سكت عن موسى **الغضب** أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون"(الأعراف:154)

" فرجع موسى إلى قومه **غضبان** أسفا"(طه: 86)

ومنه ما يعود إلى العوامل الموضوعية التي تزامنت مع ولادته متمثلة في:

- ولادته في العام الذي كان يُقَتّل فيه فرعون الولدان.

- إلقاؤه في اليم وهموم فرعون بقتله.

- قتل موسى للقبطي وتأجيره لنفسه عشر سنين.

- إضلال الطريق وتفرق غنمه في ليلة مظلمة.

7- يتجلى في إحساس الخوف الذي ساور موسى عليه السلام في مواطن كثيرة كما هو وارد في الآيات الآتية:

"قال خذها ولا **تخف**" (طه:21)

"قالا ربنا إننا **نخاف** أن يَفرُط علينا أو أن يطغى" (طه:45)

"**فأوجس** في نفسه **خيفة** موسى" (طه:67)

"قال رب إني **أخاف** أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني" (الشعراء:12-13)

"ففرت منكم لما **خفتكم**..." (الشعراء:21)

"فأصبح في المدينة **خائفا** يترقب" (القصص:18)

"يا موسى أقبل ولا **تخف**" (القصص:31)

8- من تلك الدلائل قوله تعالى:

"وألقيت عليك **محبة** مني"(طه:38)

"قال يا موسى إني **اصطفيتك** على الناس برسالتي وبكلامي"(الأعراف:144)

"وأنا **اخترتك** فاستمع لما يوحى"(طه:12)

"**واصطنعتك** لنفسي"(طه:41)

"**ولتصنع** على عيني"(طه:39)

"ثم جئت على قدر يا يموسى"(طه:40)

9- إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى، أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ...(طه:38-39)

10- القصص:(الشعراء:17-18)

[11]- اليم، البلاط، المدنية

12- عندما نتتبع مسار القصة سنجد أن الخروج الأول كان صوب مدين، والثاني ببني إسرائيل والثالث لميقات ربه.

[13]- طه:(16-20)

[14]- البقرة:259.

[15]- الأعراف:143.

[16]- تدل عليها بنية الجملة الفعلية.

[17]- تؤشر عليها بنية الجملة الإسمية، ومن دلالات المآرب المواضع(الأمكنة).

[18]- ذهب بعض المفسرين إلى أنها تلك التي صرح بها القرآن الكريم محددة في: ضرب الحجر وضرب البحر وإلقائها ساعة مبارزة السحرة، والحال أنها ليست كذلك بدليل السياق القبلي لآيات طه الدالة على لحظة تلقي موسى للوحي، وهو ما سيجعله غير مطلع على الوظائف الجديدة للعصا وهي كلها وظائف ذات طبيعية إعجازية.

[19]- سعيد بنكراد، مسالك المعنى: دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية، دار الحوار- سوريا، ط1/2006، ص:25.

[20]- المرجع نفسه:26.

[21]- الشعراء:51.

[22]- القصص:26.

[23]- طه:43.

[24]- البروكسيميا أحد فروع علم التواصل يُعنى بدراسة المسافة بين المتخاطبين، في مقابل الكينيزيا الذي يدرس الإيماءات الجسدية.

[25]- الزخرف:46.

[26]- القصص:3.

[27]- النازعات:24.

[28]- الدخان:30.

[29]- غافر:36-37.

[30]-"يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ"(طه:38)

[31]- في إشارة إلى قوله تعالى مخاطبا موسى بعدما تحولت عصاه حية: "قال خذها ولا تخف سنعيده سيرتها الأولى"(طه:20).

[32]- يُنظر: Surveiller et Punir, ed. Gallimard, 1975

[33]- مثل التفاف اللاعبين في بعض الأنماط الرياضية(كرة السلة، واليد...) ووضع أياديهم فوق بعض هو بمثابة رابط نفسي يخلق الحماس والمؤازرة قبل انطلاق اللعب.

[34]- سبأ:14.

[35]- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل-بيروت، ج3، ص:30.